

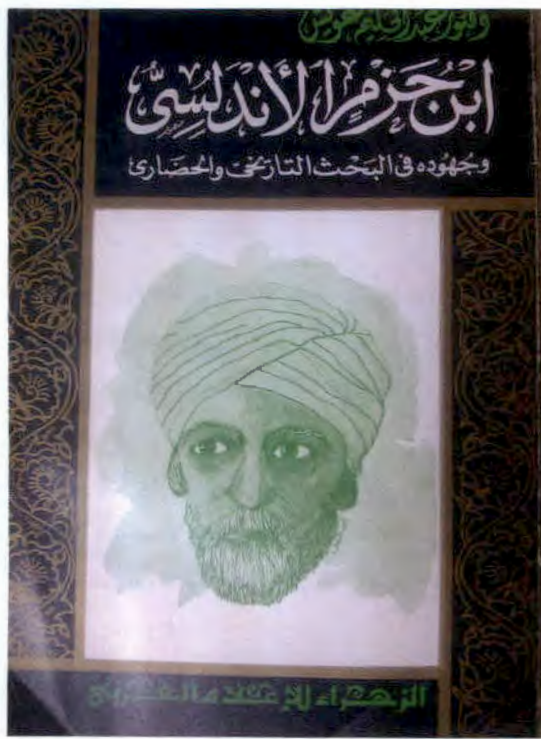


محمد عبد الشافي القوصي - مصر

عبد الحليم عويس .. النجم الكندي هو هو!

بعد مسيرة طويلة طويلة بطول الحياة
وعرض الزمان؛ عايش فيها سنوات الانكسار
وأعوام الانتصار، واطلع فيها على المذاهب
والفلسفات والأيدولوجيات، وأشرف على
الرسائل العلمية، وشارك في مئات الندوات
والمؤتمرات، وقرأ آلاف الكتب والمراجع،
وخاض شتى المعارك الأدبية والفكرية،
وانتصر على فلول العلمانيين وبقايا
الماركسيين، وإخوانهم في الرضاعة!
لقد شرق وغرب، وتوغل في بواطن
المدن وحافات البوادي، من دلهي إلى وهران،
ومن شمال الأناضول إلى أدغال أفريقيا
.. فالتقى الساسة والمفكرين والعلماء، كما
صاحب البسطاء والباعة الجائلين!
وبعد هذه الأسفار الطويلة، وهذا
السباق العلمي المجهوم، ووسط هذا الصراع
الحضاري المحتدم؛ ترجل الفارس، وألقى
سيفه ورمحه، وخلع لأمته، وهو النجم،
ومات المؤرخ والمفكر الإسلامي الدكتور/ عبد
الحليم عويس!





رحل أستاذنا الجليل؛ ليحني ثمار جهاده في حقل الدعوة المملوء بالألغام، والمفروش بالأشواك، فما بدل وما غير، وما وهن وما استكان لِمَا أصابه، بَلْ كان محتسباً ماله وعرقه وخطواته ومعاناته، ولسان حاله يقول: (إِنْ أريدُ إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله!) فَكَمْ أشأ من الكتابيب، وأسهم في تحفيظ القرآن الكريم وتعليمه، وشارك في دعم الجمعيات الخيرية، وتبني طلاب العلم والمفكرين، وأواهم، وكفلهم مادياً ومعنوياً ..

كُنَّا نَظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً

دَهَباً قِمَاتٍ وَكُلُّ دَارٍ بَلَقَعُ!

* * *

رئيس مكتبها الإقليمي في القاهرة، وعضو اتحاد الكتاب بمصر، وغيرها.

كما نال كثيراً من الأوسمة والنياشين تقديراً لجهوده وإسهاماته في التاريخ والحضارة، وقد كان آخرها: «وسام العلم والآداب والفنون الذهبي» وهو أرفع وسام تمنحه الجمهورية السودانية، وكرمه جامعة الإمام بالرياض، ومنحته جامعة الخرطوم «الدكتوراه الفخرية» لدوره المتميز في الدفاع عن الحضارة الإسلامية!

أجل! فقد أنفق -الكتاب الإسلامي عبدالحليم عويس- عمره كله مجاهداً باللسان والقلم، فألقى مئات المحاضرات، والدروس، وتنوعت مؤلفاته لتشمل التشريع الإسلامي، والدراسات القرآنية، والأدب، والتاريخ، والفلسفة، وغيرها حتى بلغت حوالي سبعين كتاباً، أهمها: فقه التاريخ في ضوء أزمة المسلمين الحضارية، تفسير التاريخ علم إسلامي، إنسانية الإسلام، شخصية الرسول في ضوء المقاييس البشرية، الشيخ الغزالي: تاريخه وجهوده وآراؤه، وابن حزم الأندلسي (وهو موضوع الدكتوراه التي نالها من دار العلوم). وكان آخر مؤلفاته: المجرمون المائة أولهم قابيل وآخرهم مبارك!

لقد كان هذا الرجل من طراز عجيب؛ فلا يكل ولا يمل من البحث والقراءة حتى آخر لحظة في حياته! فكان يمسك بالكتاب واقفاً أو جالساً، بَلْ أثناء الطعام، وعند النوم!

ومما أذكره أنني عندما أكون معه في سفر؛ يطلب مني أن أقرأ له، ويستمع بعناية وتركيز شديد! بل أحياناً يملئ عليّ لأكتب مما جادت به قريحته، أو مما أفاض الله به عليه!

إلى جانب ذلك؛ كان خطيباً مفوهاً يملك أسماع مستمعيه وأفئدتهم بأدائه الفذ، ونبراته المؤثرة، وعلمه الواسع!

وقد شغل الدكتور عويس- مناصب كثيرة، منها: نائب رئيس الجامعة الإسلامية الدولية، ومستشاراً لوزير الحج السابق، كما تولى رئاسة تحرير مجلة (التبيان) التي تصدرها الجمعية الشرعية بالقاهرة. وكان عضواً في كثير من المجالس والمؤسسات العربية والإسلامية، مثل: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، والمركز العام لجمعيات الشبان المسلمين، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية، وعضو مجلس أمنائها، ونائب



عليك يا أخي؛ لا يستطع أحد أن يوقف النهر الجاري.. وكل هذه الكتابات التافهة سيطلوها دجى النسيان، وستلقى في مقالب القمامة، ثم تذروها الريح في مكان سحيق! ولكن يبقى ما كتبه الغزالي يطبع ويترجم إلى شتى اللغات، ويتردد على المنابر بالغدو والآصال! وقال أيضاً: إِنَّ هَؤُلاءِ لَن يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَحْجِبُوا نُورَ الشَّمْسِ بِغُرْبَالِهِمُ الْهَزِيلِ!

* * *

على الرغم من الحدة التي كانت تعتري -أستاذنا- في بعض الأحيان؛ إلا أَنَّ النكات والمُلح والطرائف لا تفارقه أبداً منها على سبيل المثال: أُنْثِي غِبْتُ عَنْهُ فترة طويلة، فسألني أين اختفيت؟ قلتُ له: كُنْتُ مشغولاً بإنجاز موسوعة «أعلام الصعيد في القرن العشرين». فقال على الفور: هل أنا منهم؟ قلتُ له: لا.. لأنك لست من الصعايدة، بل علاقتك بالصعيد كعلاقة امرئ القيس بالكمبيوتر! فتبسم ضاحكاً، وقال: هناك رواية تشير إلى أن أحد أجدادي عاش في الصعيد! بل هناك رواية أخرى ينقصها السند تقول: إنه عاش ومات في الصعيد الجواني!!

الحق أقول: هنالك حكايات ومواقف لا تحصى بيني وبين هذا العالم الكبير، لكن الموقف الذي لا أنساه: أنني عندما أهديته كتابي (مُحَمَّدُ مُشْتَهَى الأُمَم) وكان وقتها طريح الفراش؛ انتفض قائماً، وراح يضم الكتاب إلى صدره بقوة، ويُقَبِّلُ كلمة «مُحَمَّد» مرات ومرات، حتى أجهدت بالبكاء!!

لقد رحل -شيخنا- ليرتاح من عناء الدنيا، وضيق حوارها، وجَوْر ساكنيها، فصعد إن شاء الله إلى جنة عالية قطوفها دانية! ليُحَلَّى فيها بأساور من ذهبٍ ولؤلؤٍ ولباسه فيها حرير!

فحيّ على جنّاتِ عدنِ فإنّها

منار لنا الأولى وفيها المُخَيَّمُ! ■

وبعد هذه الرحلة الطويلة مع التأليف والتحقيق والتدريس والوعظ والإرشاد؛ صعد -المجاهد الكبير- إلى (مساكن طيبة في جنّات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) بإذن الله تعالى!

* * *

لقد بدأ -أستاذنا- نشاطه العلمي وهو ما يزال طالباً، وكتب آلاف المقالات النارية في الصحف والمجلات الإسلامية، وكان منهجه الإصلاح، والتقريب،



وردم الفجوات، وتضميد الجراح النازفات، وكان سلاحه الحب، والدعوة بالتي هي أحسن... ولمَ لا؟ فهو من دعاة «الوسطية الإسلامية» التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتوازن بين الثوابت والمتغيرات، ولا تنسى الماضي، ولا تتعزل عن الحاضر، ولا تغفل المستقبل... ولا عجب في ذلك! فمَنذ طفولته سلك صراطاً سوياً، وكان بالأزهر وعلمائه حفيّاً، وكان يتردد على الصالحين والعارفين بكرة وعشياً!

* * *

ذات مرة- رأي غاضباً بسبب بعض الأقلام التي أرادت النيل من الشيخ محمد الغزالي- فقال لي: هوّن